

حسن البنا.. غصن باسق في شجرة الخلود



17 فبراير 2020

بقلم: الشيخ محمد الغزالي

في وحشة الليل وسورة الغدر ويقظة الجريمة، كان الباطل بما طبع عليه من غرور، وما جُبل عليه من قسوة، وما مرد عليه من لؤم، كان مستخفياً ينساب في أحياء القاهرة الغافلة، يجمع سلاحه، ويبث عيونه، ويسوق أذنا به مع الكبار والصغار، ويعد عدته لكي يغتال حسن البنا.. مرشد الإخوان المسلمين.

وليس قتل الصديقين والصالحين في هذه الدنيا بالأمر الصعب!

إن القدر أذن بأن يعدو الرعاع قديماً علي أنبياء الله، فدُبحوا وهم يحملون أعباء الدعوة، أفكثير على من تلقوا هذه الأعباء قبل أن تسقط على الأرض أن يردوا هذا المورد؟

للى ومن طلب عظيمًا خاطر بعظيمته .

من هوان الدنيا على الله أن ترك كلاب المترفين فيها تشيع مع المترفين، وأن ترك حملة الوحي فيها يهونون ... مع الوحي لا بأس.

سمع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - رجلاً يقول: اللهم آتني أفضل ما أتيته عبادك الصالحين!! فقال: "إذن يعقر جوادك ويراق دمك..". حتى الجواد يقتل مع صاحبه ... لقد أصابه من الشهادة مسها القاني، ولو كان مربوطاً بعربة بضاعة لعاش دهرًا.

وكذلك أبى ربك أن يسترجع إليه المختارين من عباده - بعد ما أدوا رسالتهم في الحياة - وهم وإفرون آمنون، نعم.. أبى أن يتركوا هذه الحياة سالمين من طعناتها الفاجرة، وجراحاتها الغادرة، فمزق عالج من المجوس أحشاء عمر، وعدا مأفون غر على حياة علي، وقتل يزيد الماجن سبط الرسول الحسين، وتأمرت دولة الأوغاد على قتل حسن البنا، ولن تزال سلسلة الشهداء تطول حلقة حلقة ما بقي في الدنيا صراع بين الضياء والظلام.

عفاء على دار رحلت لغيرها * فليس بها للصالحين معرج
كدأب علي في المواطن قبله * أبى حسن والغصن من حيث يخرج

قد قتل حسن البنا يوم قتل والعالم كله أهون شيء في ناظره .

ماذا خرقت الرصاصة الأثيمة من بدن هذا الرجل؟

ترقت جسدًا أصنته العبادة الخاشعة، وبراها طول القيام والسجود .

خرقت جسدًا غبرته الأسفار المتواصلة في سبيل الله، وغضنت جبينه الرحلات المتلاحقة إلى أقاصي البلاد، رحلات طالما عرفته المنابر فيها وهو يسوق الجماهير بصوته الرهيب إلى الله، ويحشدهم ألوًا في ساحة الإسلام!

قد عاد القرآن غصًا طرئًا على لسانه، وبدت وراثته النبوة ظاهرة في شمائله.

ووقف هذا الرجل الفذ صخرة عاتية انحسرت في سفحها أمواج المادية الطاغية، وإلى جانبه طلائع الجيل الجديد الذي أفعم قلبه حبًا للإسلام واستمسكًا به .

وعرفت "أوروبا" التغيُّ أيَّ خطر على بقائها في الشرق إذا بقي هذا الرجل الجليل، فأوحت إلى زبائنها.. فإذا الإخوان في المعتقلات، وإذا إمامهم شهيد مضرخ في دمه الزكي!

ماذا خرقت الرصاصة من جسد هذا الرجل؟

ترقت العفاف الأبى المستكبر على الشهوات، المستعلي على نزوات الشباب الجامعة .

لقد عاش على ظهر هذه الأرض أربعين عامًا لم يبت في فراشه الوثير منها إلا ليالي معدودة ، ولم تره أسرته فيها إلا لحظات محدودة ، والعمر كله بعد ذلك سياحة لإرساء دعائم الربانية ، وتوطيد أركان الإسلام ، في عصر غفل فيه المسلمون ، واستيقظ فيه الاستعمار ، ومن ورائه التعصب الصليبي ، والعدوان الصهيوني ، والسيل الأحمر! فكان حسن البنا العملاق الذي ناوش أولئك جميعًا حتى أقض مضاجعهم ، وهدد في هذه الديار أمانهم.

قد عَرَفْتُ التجردَ "للمبدأ" في حياة هذا الرجل .
وعرفت التمسك به إلى الرمق الأخير في مماته .
وعرفت خسة الغدر يوم قُدم رفات الشهيد هديه للمترفين والناعمين ، كما قدم - من قبل - دم علي مهراً لامرأة .

عجبا لهذه الدنيا وثبًا لكبرائها .
ووارحمتاه لضحايا الإيمان في كل عصر ومصر!
أكذلك يقتل الراشد المرشد؟

يَدْعَا أيها الحفيانُ ذاكَ الشخص * إن الوداع أسير زاد
وأغسله بالدمع إن كان طهراً * وادفناه بين الحشا والفؤاد
وخذا الأكفان من ورق المصحف * كبرًا عن أنفس الأبراد
أسف غير نافع واجتهاد * لا يؤدي إلى غناء اجتهاد

* من كتاب "تأملات في الدين والحياة" للشيخ محمد الغزالي ، ص 38 - 40 ، ط (4) ، دار نهضة مصر ، القاهرة ، 2004 م
، وقد نشر للمرة الأولى في فبراير 1951 م بمجلة الدعوة بالقاهرة في عددها الثالث .